الرأى العام فى الإسلام

د . عبدالوهاب كحيل
أستاذ مساعد قسم الصحافة
آداب سوهاج

أولاً : مفهوم الرأى العام

١ – المفهوم اللغوى .

٢ – المفهوم الاصطلاحى .

ثانيا : اهتمام الإسلام بالرأى العام

١ – فى القرآن الكريم .

٢ – فى السنة النبوية .

ثالثا : المنهج الإسلامى فى تكوين الرأى العام

١ – تعليم الفرد تحمل المسئولية تجاه المجتمع .

٢ – مسئولية القادة إزاء المجتمع .

٣ – العلاقة الطيبة بين الأفراد وقادة المجتمع

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الكريم ﷺ وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وبعد :

فإن دراسات الرأى العام تعتبر من أهم الدراسات التى يجب أن تعنى بها مختلف العلوم الإنسانية فى هذا العصر، الذى سادت فيه النظرة المادية . كما أنها يجب العناية بها لدى الإعلاميين بصفة خاصة ،حيث هى معيار الحكم على مدى نجاح الرسالة الإعلامية وتأثيرها وبالتالى استمراريتها وقوتها .

وإن كانت تسمية "الرأى العام" أو مصطلح "الرأى العام" قد ظهر حديثا إلا أنه معروف منذ أن ظهرت المجتمعات على وجه الأرض . وإن كان لكل مجتمع ولكل زمان مصطلح يطلقه عليه .

وقد اهتم الإسلام بالرأى العام . وكان لهذا المصطلح فى الإسلام اسم آخر هو الشورى . حيث اهتم القرآن الكريم بالشورى فسميت باسمها سورة من سوره الكريمة .

وأمر الله عز وجل نبيه بها وأمر الناس جميعا بها فى كل أمور حياتهم العامة والخاصة، وكان النبى ﷺ منفذاً لأمر الله عز وجل . فكان يستشير أصحابه فى أدق الأمور وأعظمها كما سنرى من خلال هذه الدراسة . فاستشارهم فى الغزوات، فى بدر وأحد والخندق وغيرها، واستشارهم حتى فى أموره الخاصة يوم أن خاض الناس فى عرضه فى حديث الإفك، بل وأكثر من ذلك أنه كان يحسن توجيه الرأى العام لإطفاء نيران الفتن قبل أن تستعر . كما حدث مع الأنصار بعد غزوة حنين وعند تقسيم الغنائم .

وعلى هذا النهج سار الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم بعد النبى ﷺ حيث كان لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما باع طائل فى ذلك كما سنرى .

وقد رسم الإسلام منهجا فريدا بديعا لكيفية تكوين وظهور رأى عام صائب فى المجتمع الإسلامى الذى يلتزم أصحابه بهذا المنهج الإسلامى، بدأ هذا المنهج بكيفية تكوين الرأى لدى الفرد . ثم تعليمه الإعراب عن رأيه بحرية، وبصدق من خلال غرس القيم الإسلامية الفاضلة لديه حتى تكون بمثابة الحارس الأمين المسيطر على حسن توجيه هذا الرأى الوجهة النافعة للناس وللمجتمع، بعيدا عن الأنانية وحب الذات، وبالتالى تتكون الآراء المكونة للرأى العام المستنير الصائب النافع للمجتمع كله . كما اهتم المنهج الإسلامى فى ذات الوقت بقادة المجتمع وتدريبهم على تحمل المسئولية بأمانة . ومشاورة أهل الرأى من أفراد المجتمع . ثم بحسن العلاقة بين

القادة والأفراد . وبذلك رسم الإسلام منهجا فريدا لكيفية تكوين الرأى العام الصائب وظهوره فى صورة إيجابية بناءة حرة تهتم بالصالح العام للمجتمع . وتعمل على استقراره وأمنه ورفعته والنهوض به .

آمل أن تقدم هذه الدراسة شيئا أو تشير إلى فكرة جديدة فى مجال الإعلام الإسلامى .. وماقصدت إلا وجه الله عز وجل الذى رزقنى حفظ كتابه وأسأله أن يوفقنى للاستنارة به .

والله من وراء القصد وهو المستعان

عبدالوهاب كحيل

١ - المفهوم اللغوى للرأى العام

يتكون مصطلح الرأي العام من كلمتين هما كلمة رأى وكلمة عام . ولكل كلمة منهما معنى من حيث المفهوم اللغوى . فيقول صاحب لسان العرب " استرأيت الرجل فى الرأى " أى استشرته وراعيته. وهو يرائيه أى يشاوره[١] ويقول فى كلمة عام : "العامة خلاف الخاصة"[٢].

وقد جاء فى المعجم الوسيط فى معنى كلمة رأى "الرأى : الاعتقاد، والعقل والتدبير، والنظر والتأمل . ويقال : رأيته رأى العين حيث يقع عليه البصر . وارتأى الشئ : أبصره . ويقال ارتأى فى الأمر . وارتأى رأيا فى الأمر "[٣]. وجاء فى معنى كلمة عام : "جاء القوم عامة : جميعا والعامى المنسوب إلى العام . والعام من الكلام مانطق به العامة على غير سنن الكلام العربى، والعامية : لغة العامة وهى خلاف الفصحى"[٤] .

وأورد القاموس المحيط نفس المعنى تقريبا لكلمة رأى . حيث جاء فيه أن "الرؤية : النظر بالعين والقلب . واسترأيته : استشرته . وأريته شاورته . وأصحاب الرأى هم أصحاب القياس لأنهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثا ولا أثرا "[٥]

وبناء على ماسبق يمكن القول إن كلمة "رأى" تعنى النظر فى أمر من الأمور والتأمل فيه لمعرفة وجه الصواب . فكلمة "رأى" معناها أشاهد وألاحظ واتمعن فى الأمر وأفكر فيه . ومن الملاحظة والتمعن والتفكير تتكون الفكرة التى يعبر الإنسان عنها .

أما كلمة عام فكما يتضح مما أوردته المعاجم العربية أنها تعنى الشمول الذى يعبر عن أغلبية أفراد المجتمع . أو عن الجماعة الكثيرة من الناس .

وإذا أضفنا كلمة رأى إلى كلمة عام فإنها بذلك تعطى معنى يمكن أن تفهمه على أنه تعبير معظم أفراد المجتمع عن وجهات نظرهم القائمة على التمعن والتفكير حول مشكلة أو قضية تواجههم بصفة عامة فى وقت أو زمن معين . ومايعنينا هنا أن الكلمتين معا قد كونتا مصطلحا تناوله أساتذة الاتصال بالتعريف ووضع المفاهيم له .

٢ - المفهوم الاصطلاحى للرأى العام

تناول أساتذة الاتصال هذا المصطلح "الرأى العام" بالتعريف غير أن هذه التعريفات التى وضعوها تعتبر فى جملتها تعريفات ليست نهائية أى أنها عرضة للنقد . ولا أدل على ذلك من أن بعض هؤلاء الذين وضعوا هذه التعريفات قد رجعوا فانتقدوا تعريفاتهم السابقة ووضعوا بدلا منها .

ويرجع السبب فى ذلك إلى أن مفهوم هذا المصطلح يتعلق بالنواحى المعنوية للإنسان . ومن المسلم به بداهة أن ما يتعلق بهذه النواحى المعنوية يصعب أن يوضع له قوانين أو تعريفات عامة

ثابتة ومحددة، تصدق على الشئ ذاته وتكذب على ماسواه . فهذا شأن الماديات . وبذلك فإن وضع تعريف ثابت وعام ودائم لمصطلح الرأى العام غير ممكن . وكل ماحدث إنما هو محاولات لوضع مفاهيم تقترب من تفسير هذا المصطلح .

وقبل التعرف على بعض المفاهيم الواردة لمصطلح "الرأى العام" لابد من التفريق بين الرأى بصفة عامة والرأى العام .

فالرأى بصفة عامة ينقسم إلى رأى شخصى ورأى خاص " فالرأى الشخصى هو الذى يكونه الفرد لنفسه فى موضوع معين بعد تفكير فى هذا الموضوع . ويجاهر به دون أن يخشى شيئا . أما الرأى الخاص فهو هذا الجزء من الرأى الشخصى الذى لايجاهر به الشخص أمام الناس . ولكنه يحتفظ به لنفسه خشية أن يعرض نفسه للخطر . أو خشية فقدان صديق أو منصب، وقد يبوح به الشخص لبعض المقربين إليه الذين يكتمون سره"(٦).

أما الرأى العام فإنه يمثل تيارا يسرى عبر الجماهير، يعكس إقبالها أو نفورها ويعكس رضاها أو سخطها . ويظهر ذلك غالبا فى صورة مجموعة من الضغوط والأحكام التى تصدرها هذه الجماهير تجاه عمل من الأعمال أو حادثة من الأحداث . فهو يمثل قوة جارفة من الصعب التصدى لها . أو التأثير عليها، إلا بعد معرفة اتجاه هذا الرأى. والوقوف على المؤثرات المباشرة وغير المباشرة فى تنشيطه وتحريكه . وكذا الوقوف على عوامل تكوينه . ومعرفة طبيعته . ذلك أنه يعبر عن اجتماع رأى معظم الجماهير "ويتفق ذلك مع ما أوردته الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية الصادرة عام ١٩٦٨ . والتى ذكرت أنه لايوجد تعريف عام متفق عليه للرأى العام، ومع ذلك فيزداد استخدام هذا التعبير . ويتفق أيضا مع رأى العالم أونكن والذى يقول : إنه بالرغم من عدم وجود تعريف شامل للرأى العام إلا أنه يمكن لكل إنسان أن يفهم المقصود به إذا سئل عنه "(٧).

ومع ذلك فقد حاول مجموعة من العلماء العرب وغير العرب وضع ماأسموه بتعريفات للرأى العام .

فقد حدد العالم "جرهارد شمتسن" معالم الرأى العام بقوله : " إن الرأى العام يتكون من أنماط سلوكية يعبر عنها بالكلمة المكتوبة أو المنطوقة . وأنماط السلوك هذه عبارة عن ردود فعل لحدث ما، وبالتالى يعتبر الرأى العام تعبيرا جماعيا عن ردود فعل لحدث ما . وبالتالى يعتبر الرأى العام تعبيرا جماعيا عن آراء مجموعة من الأشخاص متحدة الآمال والأهداف والحاجيات حول شئ ما ويعبر الأفراد عادة عن الشئ الواحد تعبيرات مختلفة لاختلاف الشخصيات والخبرات والجنس والسن والنشأة، والمركز الاجتماعى والتربية والدخل والمستوى العقلى والعادات

والتقاليد . الأمر الذى يحدث فى الرأى العام اختلافات يمكن ملاحظتها كذلك بين جماعات المجتمع العديدة المختلفة الأهداف والمصالح . مما يؤدى إلى وجود آراء عامة بدلا من رأى عام واحد"(٨) .

أما العالم "برايس" فإنه يصف الرأى العام فى كتابه الديمقراطية العصرية بأنه " تعبير يستخدم عموما للتعبير عن مجموع الآراء التى يعتنقها الناس عن الشئون التى تؤثر فى المجتمع أو تهمه . إنه مجموعة من كل نوع من المعلومات المتناقضة والمعتقدات والأوهام والأفكار المبتسرة والتطلعات . إنه حائر ومفكك يعوزه التبلور من يوم إلى يوم . ومن أسبوع إلى أسبوع"(٩).

وهذا التعريف مع كونه فى بدايته يقترب من وصف الرأى العام وأهميته فى التأثير على المجتمع ، إلا أنه يعود ويوضح أن الرأى العام مجموعة متناقضة من المعلومات والمعتقدات بل والأوهام . والأكثر من ذلك أنه حائر ومفكك وغير واضح . وهذه أوصاف خاطئة للرأى العام .

"ويرى العالم الأمريكى "دوب" أن الرأى العام هو اتجاهات الناس إزاء قضية ما حينما يكونون أعضاء فى نفس الفصيلة الاجتماعية . أو الجماعة المحلية"(١٠) وقد أغفل دوب فى تعريفه هذا عنصر الزمن الذى يمثل أهمية كبرى فى تكوين واستمرارية الرأى العام . كما يلعب دورا هاما فى تغيير الأفكار والنظريات بالنسبة للأفراد . مما يؤثر بالتالى على الرأى العام .

"ويرى فلريد البورت أن الرأى العام هو تعبير جمع كثير من الأفراد عن آرائهم فى موقف معين . أو يمكن استدعاؤهم للتعبير عن أنفسهم كمؤيدين أو معارضين لمسألة نهائية معينة أو لشخص أو اقتراح ذى أهمية واسعة النطاق، بحيث تكون نسبتهم فى العدد مع الكثرة والاستمرار كافية للتأثير على أفعالهم بطريق مباشر أو غير مباشر تجاه الموضوع الذى هم بصدده"(١١).

ويؤيد ذلك مايراه "كلايدكنج" فى كتابه قراءات فى الرأى العام حيث يذكر أن الرأى العام هو الحكم الذى تصل إليه الجماعة فى مسألة ذات بال . وذلك بعد مناقشة علنية مستوفاه (١٢). ويزيد هذا التعريف على التعريف السابق الإشارة إلى المناقشات العلنية والمستوفاه .

ويذكر الدكتور أحمد أبوزيد أن الرأى العام " هو وجهة نظر أغلبية الجماعة الذى لايفوقه أو يجبُّه رأى آخر . وذلك فى وقت معين وإزاء مسألة تعنى الجماعة . تدور حولها المناقشة صراحة أو ضمنا فى إطار هذه الجماعة"(١٣).

ويعتبر هذا التعريف من أقرب التعريفات التى تقترب من المفهوم الصحيح لمصطلح الرأى العام . حيث يجعله يعتمد على الأغلبية الكيفية للجماعة . أى الواعية التى لايفوق رأيها رأى آخر . كما أنها عرض للعناصر الهامة المكونة للرأى العام الصحيح والمتمثلة فى المجتمع (الجماعة) والمناقشة والزمن والمشكلة .

ويرى الدكتور محمد عبدالقادر حاتم أن الرأى العام هو "ذلك الرأى الذى ينتج عن المؤثرات وردود الأفعال المتبادلة بين أفراد جماعة كبيرة من الناس"(١٤). وهذا التعريف رغم أهميته إلا أنه يقصر وجود الرأى العام على وجود المؤثرات . ويستنبطه من ردود الأفعال الخاصة بالجماعة إزاء تلك المؤثرات بينما قد يوجد الرأى العام دون مؤثرات ، فقد تكون مسألة من المسائل أو القضايا تهم شعبا آخر أو جماعة أخرى . ويتكون رأى عام حولها لدى كثير من الشعوب أو الجماعات .

ويقول الدكتور إبراهيم إمام إن الرأى العام هو "الفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصالح مشتركة إزاء موقف من المواقف . أو تصرف من التصرفات أو مسألة من المسائل العامة التى تثير اهتمامهم . أو تتعلق بمصلحة من المصالح المشتركة بينهم"(١٥).

ومع أن هذا التعريف واضح إلا أنه يجعل الرأى العام فكرة ، والفكرة غالبا ماتكون مرحلة سابقة للرأى . فالرأى يأتى على أثرها أى بعد أن تتبلور هذه الفكرة . ويدور حولها النقاش . وتظهر وجهات النظر المؤيدة والمعارضة . حيث يمكن بعد ذلك الوصول إلى رأى عام .

أما أقرب التعاريف التى تمثل المفهوم الصحيح للرأى العام . فهو المفهوم الذى أورده الدكتور مختار التهامى . والذى يذكر أن الرأى العام هو "الرأى السائد بين أغلبية الشعب الواعية فى فترة معينة بالنسبة لقضية أو أكثر يحتدم فيها النقاش والجدل . وتمس مصالح هذه الأغلبية أو قيمها مسًا مباشراً (١٦).

وهذا التعريف رغم بساطته إلا أنه يتلافى عيوب كل ماورد من تعريفات سابقة . حيث يتعرض للجوانب الكمية والكيفية لدى أفراد المجتمع . كما يتعرض لبناء الرأى العام على النقاش. وأخيراً يرى أن الرأى العام لابد أن يكون حول قضية تمس مصالح الأفراد أو قيمها مسا مباشراً

وترجع الدكتورة شاهيناز طلعت هذه الاختلافات فى تعريف الرأى العام إلى اختلاف نظرة الكتاب والمفكرين إلى الرأى العام . تلك النظرة التى حصرت معنى الرأى العام وحددته فى نطاق معين(١٧) وهو ماسبق أن أشرنا إليه بأنه يتعلق بالنواحى المعنوية للإنسان . سواء كانت هذه النواحى تتعلق بمن وضعوا تعاريف الرأى العام أو بأفراد المجتمع .

وبهذا يمكن القول أنه لايوجد تعريف واحد واضح ثابت للرأى العام لكنها مفاهيم لهذا المصطلح توضح معناه . وتقربه إلى الأذهان وتجعل عملية التعرض له على أسس علمية واضحة .

ثانيا : اهتمام الإسلام بالرأى العام :

إذا كانت معاجم اللغة العربية قد دلت على أن معنى كلمة الرأى هى الاستشارة كما ذكرنا من قبل . فهذا يدل على أن لفظ المشورة مرادف للفظ الرأى . وقد أشار إلى ذلك مختار الصحاح " أشار بمعنى أشار عليه بالرأى، والمشورى والشورى وكذا المشورة بضم الشين . تقول شاوره فى الأمر واستشاره، أى استخرج الرأى الصواب فيه"(١٨).

وإذا كانت المناقشة هى العامل الأساسى فى ظهور وبلورة الرأى العام فى أى مجتمع من

المجتمعات . فقد جعل الإسلام تلك المناقشات تقوم على مبدأ الشورى . وذلك بمعنى تشاور الناس حكاما ومحكومين فى شئونهم بحرية وأمان . وهى لاتعتمد على رأى شخص واحد . فلابد من الإيمان بأن رأيين خير من ثلاثة . وأن ثلاثة آراء خير من رأيين"(١٩).

١ - فى القرآن الكريم :

اهتم الإسلام بالشورى ومدح أهلها وأمر بها وجعل الله تعالى سورة من سور القرآن الكريم باسمها هى سورة "الشورى" وهذا يدل على علو وعظمة شأنها . وأنها الأساس المتين للرأى العام السليم فى المجتمع الإسلامى وأن الرأى العام مفهومه فى الإسلام إنما هو من هذا المنطلق ومن هذا المنظور وهذا المفهوم .

مدح الله عز وجل من عباده من يبتعدون عن كبائر المعاصى . ومن يتسامحون مع إخوانهم إذا غضبوا منهم . ومن أقاموا الصلاة . ومن تشاوروا فى أمورهم ومن أنفقوا من أموالهم . فقال تعالى : ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ماغضبوا هم يغفرون، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾(٢٠) وبذلك نرى أن منزلة أهل الشورى تقع بين منزلة المستجيبين لله . المقيمين الصلاة . والمنفقين من أموالهم . وغيرهم ممن أشارت إليهم الآيات السابقة .

ويقول الإمام ابن كثير فى تفسيره لقول الله تعالى ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ أى لا يبرمون أمرا حتى يتشاوروا فيه، ليتساعدوا بآرائهم فى مثل الحروب وماجرى مجراها، ولهذا كان النبى ﷺ يشاورهم فى الحروب ونحوها ليطيب بذلك قلوبهم، وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب رضى الله عنه الوفاة حين طعن ، جعل الأمر بعده شورى فى ستة نفر وهم عثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن بن عوف رضى الله عنهم . فاجتمع رأى الصحابة كلهم رضى الله عنهم على تقديم عثمان عليهم"(٢١).

ومن هذا يتبين لنا أن الشورى أدت إلى ظهور رأى عام موحد فى اختيار عثمان بن عفان رضى الله عنه لخلافة المسلمين بعد عمر بن الخطاب . الذى أتاح ذلك المبدأ . عملا بأمر الله عز وجل . وبسنة رسول الله ﷺ . كما أنها قضت على النزاع والفتنة قبل ظهورها فى عملية اختيار الخليفة .

وقد أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بمشاورة المسلمين فى أمورهم حتى يعلمهم كيفية تكوين الرأى العام الصحيح والسليم. فقال تعالى :﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن

الله يحب المتوكلين﴾(٢٢).

وإذا كان هذا الأمر بالشورى على المستوى العام . فإن الله تعالى قد بين أنه يجب أن يكون على المستوى الخاص فيما يتعلق بالأمور الأسرية . حيث أوضح ذلك فى شأن انفصال الزوج عن الزوجة. وبين أنه يجب أن يكون عن تراض من الطرفين وتشاور . قال تعالى : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف، لاتكلف نفس إلا وسعها، لاتضار والدة بولدها ولامولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ماآتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾(٢٣).

وقد أورد القرآن الكريم مثالا للشورى التى أدت إلى الوصول إلى رأى عام صائب قاد المجتمع وقادته إلى الخير . وذلك فى قصة بلقيس ملكة سبأ . فقد سجل الله عز وجل فى القرآن الكريم مادار بين الملكة ومستشاريها من حوار دل على عرض القضية . ثم التشاور فيها . ثم الوصول إلى قرار أدى إلى الوصول إلى رأى عام صائب . فقرار الملكة لم يكن فرديا . وإنما كان بناء على التشاور مع مستشاريها وقومها . ولننظر إلى هذا الحوار الذى دار بعد أن أرسل سليمان عليه السلام كتابه إلى الملكة : "قالت : ﴿ ياأيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم. إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلوا علىَّ وأتونى مسلمين﴾(٢٤) .

إلى هنا انتهى كتاب سليمان عليه السلام إلى الملكة ، ويتضح من عرضها للكتاب على قومها (الملأ) أنها تحترم هذا الكتاب وتميل إلى مافيه بدليل قولها : كتاب كريم، ثم تستشير قومها بعد ذلك ، فيقول الله تعالى على لسانها : ﴿قالت : ياأيها الملأ أفتونى فى أمرى ماكنت قاطعة أمراً حتى تشهدون قالوا : نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين قالت : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون . وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾(٢٥).

وأرسلت الملكة الهدية إلى سليمان عليه السلام بناء على ذلك القرار . ورد سليمان الهدية إليها . فما كان يريد ذلك . ولكن يريد ردهم عن عبادة الشمس والسجود لها . إلى عبادة الله الواحد القهار والسجود له . لذلك أحضر عرشها وسألها لما جاءت "أهكذا عرشك؟ قالت كأنه هو" إلى أن التبس عليها أمر الصرح . وعند ذلك علمت وأيقنت أنها لم تبلغ هى ولا قومها مابلغه سليمان فقالت ﴿رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ .

وهكذا أدت المشورة إلى الرأى الصحيح ، فقد أدى ذلك أولا إلى إرسال الهدية التى كانت

تقصد منها معرفة هل هو نبى مرسل أم لا، حيث قالت﴿ وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ ورد سليمان الهدية وأنكرها حيث قال : ﴿أتمدونن بمال فما آتانى الله خيرٌ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ وليس من شأن المرسلين بالطبع الفرح بالمال . فعلمت أنه مرسل من عند الله بالفعل . عند ذلك جمعت جندها وسارت إليه . وهناك حدث إسلامها وإيمانها هى وقومها .

وحيث إن القرآن الكريم قد ساق لنا هذه القصة، فإنما هى للاعتبار والاتعاظ بكل مافيها . وماجاء بها كما هو شأن كل قصص القرآن . وحيث اشتملت هذه القصة أيضا على المشورة فالقرآن إذن مؤيد لذلك . بل ويتفق هذا المبدأ مع ماأمر به فى قوله تعالى ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ فهذا يدل على مدى اهتمام الإسلام بالأسس والمبادئ التى ترس وتبلور الرأى العام الصحيح والسليم فى المجتمع .

وقد ضرب الله عز وجل مثلا آخر لملك تشاور مع قومه أيضا . لكنه كان محتالا على قومه فى مشورته، فلم تكن إذن مشورة . وإنما كانت إدعاءً للمشورة . لذلك كانت النتيجة أنه ضلّل قومه وضلل نفسه ووقع فى الهلاك . وذلك الملك هو فرعون لعنه الله .

اشتد الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون عليه اللعنة . حول دعوة الحق . ولما احتار فرعون وغضب قال لموسى :

﴿ قال : لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين قال : أولو جئتك بشئ مبين قال : فائت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين . ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين﴾(٢٦) .

عند ذلك الحد الذى أذهل فرعون لم يجد حيلة إلا أن يعلن للملأ حوله ويذيع أن موسى ساحر، وهذا هو ماأوقع قومه فيه من الضلال . فبعد أن قال فرعون عن موسى إنه ساحر من يجرؤ على مخالفة رأى فرعون الذى يتخذونه إلها لهم .وزاد فرعون فى اسقطابهم لرأيه وتأليبهم على موسى عليه السلام. إنه يريد أن يأخذ أرضهم وأموالهم بسحره . ودار الحوار التالى :

﴿قال : للملأ حوله إن هذا لساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون﴾(٢٧).

بعد أن ضللهم فرعون واستقطب واستمال رأيهم إلى رأيه . يدعى المشورة ويطلب رأيهم . " فماذا تأمرون" ويتضح لنا الفارق هنا بين مشورة فرعون ومشورة بلقيس ملكة سبأ التى تلت الخطاب على قومها . ثم قالت لهم : أفتونى فى أمرى ماكنت قاطعة أمرا حتى تشهدون . ولم يمنعها وصفها لكتاب سليمان بأنه كتاب كريم . أن تقول : ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها

وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾ ثم ترسل الهدية للاختبار هل هو ملك أم هو نبى مرسل. فهى إذن تتشاور لتصل إلى الحقيقة، لذا كانت مشورتها موضوعية. لم تتحيز بالسلب أو الإيجاب ضد الرسالة أو معها. لتؤثر على قومها لذلك هداها الله عز وجل هى وقومها .

أما فرعون فقد كان متحاملا ضد دعوة موسى لذلك أثر على قومه وأذاع أن موسى ساحر. وادعى المشورة " فماذا تأمرون " لذا وقع هو وقومه فى الضلال والهلاك. وما يدل على تأثيره على رأى قومه أنهم قالوا له :

﴿ قالوا : أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين. يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم. وقيل للناس هل أنتم مجتمعون . لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين﴾(٢٨)

"ومرة أخرى يؤثر فرعون عن طريق أعوانه على الجماهير التى اجتمعت حينما قيل لتلك الجماهير﴿ لعلنا نتبع السحر إن كانوا هم الغالبين ﴾ ولم يقل لهم لعلنا نتبع موسى إن كان على الحق. لذلك ظل فرعون على عناده رغم وضوح الحق وقهر آية موسى لسحر السحرة ووقعت جماهير القبط تحت تأثير رأى فرعون أيضا لذا كان الإيمان من نصيب السحرة .

وهكذا نتبين من هذه الأمثلة الواردة فى القصص القرآنى أن المشورة الصحيحة الموضوعية تؤدى إلى الوصول إلى رأى عام صائب صحيح . أما التأثير على الجماهير ثم ادعاء المشورة بعد ذلك كما فعل فرعون – فهو طريق الضلال والهلاك. وهذا يبرز مدى اهتمام الإسلام ببناء الرأى العام على أسس قويمة تفوق كل أسس وكل مبادئ .

وقد بين القرآن أن المجتمع الإسلامى يجب أن يسوده الرأى العام السليم والذى يؤدى إلى ذلك إنما هو التناصح إلى جانب التشاور لذلك يقول تعالى ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (٢٩)

وحتى يفلت المجتمع بمن فيه وما فيه من الخسر لابد أن يكون أهله من المؤمنين، الذين يعملون الصالحات. وليس هذا فحسب بل لابد من أن يتواصوا بالحق، ويتواصوا بالصبر. وبذلك يسود الرأى العام الصائب السليم ويفلتوا من الخسران المبين فى الدنيا والآخرة .

٢ – فى السنة النبوية :

إذا كان للرأى العام وبنائه على أسس سليمة قويمة الأهمية التى رأينا فيما مضى من أوامر القرآن الكريم وأمثلته. فإن النبى ﷺ قد فعل ذلك فى حياته حيث كان يهتم بالمشورة ويحترم الرأى العام . وكذلك فعل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، وسوف نتعرف هنا على بعض الأمثلة من ممارسة المشورة واحترام الرأى العام فى عهد النبى ﷺ ثم فى عهد أبى بكر ثم فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنهما.

كان النبى ﷺ يهتم بالرأى العام اهتماما كبيرا، ولا أدل على ذلك من كثرة استشارته لأصحابه فى الأمور الهامه " لما نزل عليه قول الله عزوجل ﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ﴾ كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه فى الأمر إذا حدث تطييبا لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه، كما شاورهم يوم بدر وشاورهم يوم أحد أن يقعد فى المدينة أو يخرج إلى العدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم فخرج إليهم. وشاورهم يوم الخندق. وشاورهم يوم الحديبية فى أن يميل على ذرارى المشركين، فقال له الصديق : إنا لم نجئ لقتال وإنما جئنا معتمرين. فأجابه إلى ما قال، وفى قصة الإفك قال : " اشيروا على معشر المسلمين فى قوم أبنو أهلى ورموهم، وايم الله ما علمت على أهلى من سوء، وأبنوهم بمن والله ما علمت إلا خيرا، فكان ﷺ يشاورهم فى الحروب ونحوها "، وسئل ﷺ عن العزم فقال (مشاورة أهل الرأى ثم اتباعهم)(٣٠)

ولو تأملنا كيفية مشاورة رسول الله ﷺ لأصحابه فى أهم و أدق الأمور، لوجدنا أنه كان يتيح حرية الحديث لكل صاحب رأى ويفسح صدره لكل متحدث ويستمع لكل من يريد أن يتكلم من غير أن يسفه رأيا ولا يحط من قيمة حديث. وهذا يتيح إمكانية تكوين رأى عام صائب سليم وصحيح يرتضيه أفراد المجتمع ويستريحون له .

ففى غزوة بدر لما أفلت أبو سفيان بعير قريش التى كانت مقصد المسلمين علم رسول الله ﷺ أن قريشا تسير إليهم، فطلب رأى أصحابه من المهاجرين والأنصار أيلقونهم أم يرجعون إلى المدينة طالما أن العير قد أفلتت وقد خرجوا يقصدونها، ولم يكتف برأى المهاجرين دون الأنصار وإنما أتاح لهم حرية التعبير عن رأيهم. "استشار النبى ﷺ الناس، وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ﷺ امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله ﷺ خيرا ودعا له بخير ثم قال ﷺ (اشيروا على أيها الناس) إنما يريد الأنصار وذلك أنهم عدد الناس وأنهم بايعوه بالعقبة، قالوا : يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه. وأن ليس عليهم أن يسيروا إلى عدو من بلادهم، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ . قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال :(أجل) . قال : قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت

فنحن معك. فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد. وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر فى الحرب، صدق فى اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك. فسر بنا على بركة الله . فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك. ثم قال سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم." (٣١) .

وقد نزل النبى ﷺ على رأى بعض أصحابه عين بدر. بعد أن كان قد نزل مكانا آخر ، وتشاور معهم أيضا فى أمر الأسرى وما يفعلون معهم وأخذ بآرائهم فى ذلك، وهذا يدل على مدى اهتمام النبى ﷺ بالرأى العام. مما يؤدى إلى اتخاذ قرار صحيح. ويجعل المجتمع متماسكا قويا مستقرا .

" فعندما نتأمل كيف يجلس رسول الله ﷺ إلى أصحابه ليشاورهم فى الأمر الذى فوجئوا به بعد أن أفلتت منهم العير. وطلع عليهم النفير العظيم المدجج بالسلاح الكامل. يدلنا هذا على التزامه ﷺ بمبدأ التشاو ر مع أصحابه ، وإذا استعرضنا حياته ﷺ وجدنا أنه كان يلتزم بهذا المبدأ فى كل أمر لا نص فيه من كلام الله تعالى، مما له علاقة بالتدبير والسياسة الشرعية، ومن أجل هذا أجمع المسلمون على أن الشورى فى كل ما لم يثبت فيه نص ملزم من كتاب الله، أو سنة، أساس تشريعى دائم لا يجوز إهماله، أما ما ثبت فيه نص من الكتاب، أو حديث من السنة، أو أبرم به الرسول ﷺ حكمه . فلا شأن للشورى فيه . " (٣٢)

وعند حدوث غزوة أحد حينما علم رسول الله ﷺ بقدوم قريش للحرب تشاور مع أصحابه . أيخرجون لملاقاتهم أم ينتظرون فى المدينة ؟ فإن أقبلوا عليهم قاتلوهم فيها . ولما كان رأى الأغلبية الخروج لملاقاة العدو خارج المدينة، نزل على رأيهم.

" قال ابن اسحاق : فقال رسول الله ﷺ (فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام. وإن هم دخلوها علينا قاتلناهم فيها) وكان رأى عبدالله بن أبى بن سلول مع رأى رسول الله ﷺ ، فقال رجال من المسلمين : يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا. فقال عبدالله بن أبى بن سلول : يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم. فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا. ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا.

فلم يزل الناس برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله ﷺ بيته فلبس لامته، فلما خرج عليهم ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا

ذلك، فلما خرج عليهم قالوا يا رسول استكرهناك ولم يكن لنا ذلك، فإن شئت فاقعد فقال ﷺ"ماينبغى لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل " (٣٣) .

وهكذا احترم النبى ﷺ الرأى العام، ونزل عليه، واتبع من كان رأيهم الخروج لملاقاة العدو، ولو كان ذلك ضد رأيه هو ﷺ .

وقد تشاور النبى ﷺ مع أصحابه أيضا فى غزوة الأحزاب. لما سمع بتآمر المشركين واليهود لقتال المسلمين " ندب ﷺ الناس وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم فى الأمر . فأشار عليه سلمان الفارسى بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين(والخندق مما لم يكن يعلمه العرب من وسائل الحرب) فخرجوا من المدينة، وعسكر بهم رسول الله ﷺ فى سفح جبل سلع فجعلوه خلفهم. ثم هبوا يحفرون الخندق بينهم وبين العدو . " (٣٤)

وهكذا نزل النبى ﷺ على الرأى الذى أعجب المسلمين الذين يمثل اتفاقهم ورضاهم الرأى العام، وبدأ ينفذ من فوره ما اتفقوا عليه من حفر الخندق حول المدينة، وبذلك تحول الرأى إلى رأى عام فعلى.

وقد بلغ من اهتمام النبى ﷺ بالمحافظة على الرأى العام قويا متماسكا سليما، أنه ﷺ كان يسترضى من أخذوا موقفا ينم عن عدم الرضا، وسنأخذ مثالا لذلك مما حدث فى تقسيم الغنائم بعد غزوة حنين، حيث خص النبى ﷺ المؤلفة قلوبهم. وهم أهل مكة – بمزيد من الغنائم والأعطيات يتألف قلوبهم على الإسلام، فوجد – غضب – بعض الأنصار فى نفوسهم من ذلك وقالوا : يغفر الله لرسول الله، يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم .

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فأرسل إلى الأنصار فى مكان أعد لهم، ولم يدع معهم أحدا غيرهم، ثم قام فيهم فحمدالله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

"يا معشر الأنصار مقالة بلغتنى عنكم ؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بى، وكنتم متفرقين فألفكم الله بى. وكنتم عالة فأغناكم الله بى " كلما قال لهم من ذلك شيئا قالوا بلى ، الله ورسوله أمن وأفضل " ثم قال : ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ؟

قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفضل ، فقال ﷺ :

أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم : أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك وعائلا فآسيناك . فصاحوا : بل المن علينا لله ورسوله .

ثم تابع رسول الله ﷺ قائلا : أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم من أجل لعاعة من الدنيا، تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير. وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما

ينقلبون به والذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار، وإنكم ستلقون أثرة من بعدى . فاصبروا حتى تلقونى على الحوض ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار .

فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم، وقالوا رضينا بالله ورسوله قسما و نصيبا . " (٣٥) .

وهكذا كان من حكمة رسول الله ﷺ أنه قام بتهدئة ثورة الرأى العام حينما علم أن الأنصار قد غضبوا وتكلموا مع بعضهم بذلك ، فجمعهم وأوضح لهم الأمر، ثم ذكرهم بالنعم التى لحقتهم والتى ستلحقهم، فأوضح لهم أنه إنما أعطى الذين أعطاهم أكثر منهم تأليفا لقلوبهم، ومازال بهم حتى عابوا على أنفسهم ورجعوا إلى رشدهم، وتغير رأيهم، واستقر الرأى العام الصحيح الذى يؤدى إلى تماسك المجتمع وقوته وصلابته .

وبذلك نرى أن النبى ﷺ كان حريصا على بناء الرأى العام الصحيح الصائب، عن طريق مشاورته لأصحابه كما رأينا فى الأمثلة السابقة. وذلك حتى يكون أفراد المجتمع راضين عن القرارات التى تتخذ وبالتالى يكونون راضين عما تسفر عنه من نتائج ، فلا يلوم بعضهم بعضا ولا يعيب بعضهم على بعض مما يؤدى إلى التمزق داخل المجتمع .

وقد تجلى ذلك فى غزوة أحد على سبيل المثال فقد كان رأى النبى ﷺ عدم الخروج لملاقاة العدو أما الرأى العام والمتمثل فى رأى الأغلبية من المقاتلين الذين سيخرجون بأنفسهم للقتال فقد أجمعوا على الخروج لملاقاة العدو خارج المدينة . وقد استقر الأمر بعد المعركة على نتيجة غير مرضية للمسلمين. ولأن الخروج لملاقاة العدو كان نزولا على رأى الأغلبية والتى مثلت الرأى العام فإن النتيجة التى حدثت لم تمثل سببا من أسباب التمزق داخل المجتمع، ولما تحدث بذلك زعيم المنافقين عبدالله بن أبى بن سلول لم يلتفت إليه أحد، ولم يكترث بحديثه أحد بل إنهم لما دعوا فى أعقاب غزوة أحد مباشرة إلى الخروج لتعقب جيش المشركين خرجوا بالفعل (فى غزوة حمراء الأسد) وجراحهم تقطر دما .

ولم يكن حرص النبى ﷺ على البناء السليم للرأى العام المتماسك السليم يتوقف عند حد المشوره فقط وإنما كان فى تهدئة ثورة الثائرين كما حدث فى صلح الحديبية وكما حدث فى غزوة بنى المصطلق حيث أطفأ ﷺ الفتنة التى كادت أن تنشب بين المهاجرين والأنصار، وكما حدث فى المثال الذى سقناه سابقا فى تقسيم غنائم غزوة حنين حين غضب الأنصار وقام ﷺ بتهدئتهم، وكان ﷺ يفعل ذلك دائما بحس خلقه مع أصحابه ومع كل القبائل التى يفتحها أو التى تدخل فى الإسلام مما جعل الرأى العام فى المجتمع الإسلامى فى حياة النبى ﷺ متماسكا قويا .

وقد سار الخلفاء الراشدون بعد رسول الله ﷺ على هذا النهج القويم فهذا هو أبو بكر

الصديق " كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأى وأهل الفقه ، دعا رجالا من المهاجرين والأنصار، ودعا عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وعبد الرحمن ابن عوف ومعاذ بن جبل، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت رضى الله عنهم . " (٣٦)

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستشير الخاصة من كبار الصحابة فى أبسط الأمور وأكبرها ، كما كان له مجلس يسمى بأهل الحل والعقد يستشيرهم ويستمع إلى آرائهم قبل اتخاذ أى قرار، وقد كان يذكر ذلك للناس فقد قال فى إحدى خطبه " ومن قام بهذا الأمر فإنه تبع لأولى رأيهم وما رأوا لهم ورضوا به لهم " (٣٧) .

كما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقوم بالعس ليلا ليستمع إلى الأخبار حتى تكون قراراته من واقع ما يمس الرأى العام، وكان هذا أيضا بمثابة قياس الرأى العام فى هذا العصر، وقد أدى به ذلك إلى اتخاذ قرارات كثيرة منها فرض راتب لكل مولود منذ ولادته بدلا من أنه كان منذ فطامه، وذلك لما سمع امرأة تغصب ابنها على الفطام وتقول لزوجها لما سألها إنها تفعل ذلك حتى يفرض له عمر من بيت المال .

ومن هذا كله نتبين مدى اهتمام الإسلام بالرأى العام وأسس تكوينه بصورة صحيحة سليمة، وأسس المحافظة عليه أيضا، حتى يكون المجتمع قويا متماسكا ويستمر كذلك .

ثالثا : المنهج الإسلامى فى تكوين الرأى العام :

حتى يكون المجتمع قويا متماسكا لابد من أن تسود فيه روح الحريه القائمة على احترام الآخرين، إلى جانب حب الأفراد لأخوانهم، وانتشار المبادئ الفاضلة التى تجعل كل فرد فى المجتمع آمنا على نفسه وعلى ماله، وبالتالى يمكنه التعبير عن آرائة بوضوح وفى طمائنية تامة. ومن خلال حديثنا عن اهتمام الإسلام بالرأى العام، رأينا كيف أن القرآن الكريم قد حث على المشورة وأمر بها، وضرب الأمثلة لها ، وكيف أن النبى ﷺ قد التزم بذلك وضرب المثل الأعلى فيه .

وإذا ما طبق المسلمون هذه المبادئ الإسلامية العظيمة التى رسمها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فإن الرأى العام الصائب والسديد يسود وينتشر فى المجتمع الإسلامى، وهذا يؤدى إلى قوة هذا المجتمع وتماسكه واستقراره .

وسوف نرى من خلال هذا المبحث أن المنهج الإسلامى فى تكوين الرأى العام يؤدى إلى بناء المجتمع الإسلامى القوى المتماسك، وذلك من خلال الاهتمام بالفرد باعتباره الوحدة الأساسية المكونة للمجتمع، ثم من خلال قيادات المجتمع سواء كانت قيادات سياسية أو اجتماعية أو دينية فالمقصود هنا إنما هى القيادات على اختلافها.

١ – تعليم الفرد تحمل المسئولية تجاه المجتمع.

يشكل الفرد فى أى مجتمع من المجتمعات الوحدة الأساسية لهذا المجتمع، وبالتالى فإن الأهتمام بالأفراد ، إنما هو الاهتمام بالمجتمع فى حد ذاته فإذا كان الفرد حرا فى التعبير عن رأيه. يعرف واجباته، ويعرف حقوقه تجاه الآخرين وتجاه وطنه وقادته، فإن هذا المجتمع يكون قويا متماسكا.

وقد حرص الإسلام على تعليم الفرد تحمل المسئولية تجاه المجتمع، وذلك من خلال اشتراكه فى المشورة وإبداء الرأى فى القضايا التى تهم هذا المجتمع، فإذا أحس الفرد أنه مسئول. وأن رأيه مطلوب وأنه قد يؤخذ به فى بعض القضايا فإن ذلك يجعل الفرد يشعر أنه مسئول تجاه هذا المجتمع، وأن عليه عبئا وله دور هام، وذلك بخلاف ما إذا شعر بإهماله وعدم إحساس المسئولين فى المجتمع به كفرد له تفكير وله كيان، فإذا ما شعر الفرد بإهماله فإنه يصبح لا علاقة له ولا اهتمام عنده بقضايا المجتمع، أنه يصبح غير مكترث بالمجتمع، ويصاب باللامبالاة.

وفى سبيل تعليم الفرد تحمل المسئولية تجاة المجتمع الإسلامى . حرص الإسلام على حسن إعداد هذا الفرد، حتى إذا ما تمت مشاورته وأخذ رأيه كان لديه الاستعداد لإبداء الرأى النافع فى حرية ووضوح، من واقع الإحساس بالمصلحة العامة للمجتمع. وقد تمثل هذا الإعداد الإسلامى للفرد فى دعوته إلى إعمال فكره، ثم إتاحة حرية التعبير له عن هذا الفكر كما تمثل فى غرس القيم لدى الأفراد مثل الإخلاص والصدق وحب الآخرين والانتماء للمجتمع، وذلك ليكون تفكيره فى القضايا التى تتعلق بالمجتمع منطلقة من هذه القيم التى هى بمثابة تربية الضمائر لدى الأفراد، والتى لن يستطيع أى قانون أو أى قيد من القيود أن يصل إليها.

أ – تدريب الأفراد على التفكير وحرية التعبير :

حرص المنهج الإسلامى فى تربية الأفراد على تدريبهم على إعمال الفكر عن طريق التأمل وإعادة النظر فى الأمور وصولا إلى الرأى الصائب السديد وقد حث القرآن الكريم على ذلك منذ بداية نزوله فى مكة ثم فى سائر سور القرآن الكريم كله . قال تعالى : ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾(٣٨) فالآية تدعو الناس جميعا إلى يوم القيامة أن يتفكروا فى أمر القرآن العظيم وشأنه، حتى يستطيعوا إدراك الحقيقة التى لاشك ولا مراء ولا جدال فيها، وهى أنه من عند الله تعالى .

ولما تمادى كفار مكة فى تكذيب رسول الله ﷺ ودعوته ، دعاهم الله تعالى إلى التفكير فى أمر هذه الدعوة، فقال تعالى :﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا

ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد ﴾ (٣٩) فهى دعوة إلى التفكر بصورة فردية ومع الآخرين أيضا مثنى وفرادى، فتفكير الفرد مع نفسه له مميزات وله عيوب، فيمزه أنه يتسم بالروية والتؤدة من غير تشويش عليه ويعيبه أنه قد يكون تفكيرا غير صحيح ولا يستطيع صاحبه إدراك ذلك، أما التفكير مع فرد آخر فإنه يتلافى هذا العيب الأخير لذلك دعا القرآن الكريم أفراد المجتمع إلى التفكير بصورة فردية وإلى التفكير مع الآخرين، لإمكان الوصول إلى الرأى الصحيح والفكرة السليمة .

وقد حث القرآن الكريم على التفكير أيضا فى قوله تعالى : ﴿ قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾ (٤٠) وهو حث على التفكير بعد أن أوضح لهم طريق هذا التفكير السليم فى الآية ذاتها، حيث يأمر النبى ﷺ أن يقول لقومه إنه ليس عنده خزائن الله، ولا يعلم الغيب ولا يدعى أنه ملك، وإنما يتبع الوحي الذى يأتيه من عند الله، ثم يدعوهم إلى التفكير فى هذه الأمور التى وضحها لهم .

ودعا القرآن الكريم الناس إلى التفكير فى مخلوقات الله العظيمة، حتى يستطيعوا الوصول إلى الحق، فقال تعالى ﴿ أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴾(٤١) .

كما حث القرآن الكريم الناس على التفكير عن طريق تأمل ما حدث للآخرين من الأقوام السابقة، والاتعاظ به فقال تعالى : ﴿ أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ﴾(٤٢) .

وقد مدح الله عز وجل الذين يفكرون وسماهم أولى الألباب، فقال تعالى﴿ إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ (٤٣) فقد جعل الله سبحانه وتعالى التفكير فى عظيم مخلوقاته تقع درجته بين ذكر الله عز وجل وبين الدعاء بالنجاة من النار ولا تخفى منزلة الدعاء .

وفى هذا المعرض وردت آيات كثيرة تدعو إلى التفكير فقال تعالى ﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ (٤٤) وقال تعالى﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ (٤٥) وقال تعالى ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾(٤٦) .

ولم تكن دعوة القرآن للناس إلي التفكير قاصرة على العقيدة، وإنما كانت دعوته إلى

التفكير إزاء كل مشكلة أو قضية تواجه المجتمع، فقد دعا القرآن الكريم إلى التفكير إزاء بعض القضايا الاجتماعية التى تواجه المجتمع مثل تحريم الخمر والإنفاق على الفقراء والمحتاجين، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ (٤٧) . فهى قضايا اجتماعية تهدد استقرار المجتمع كله لذلك يوضح القرآن أن مافيها من الإثم أكبر مما فيها من النفع ثم يوضح أن الله تعالى قد بين الآيات للناس ، ويدعوهم بعدها إلى التفكير ، وليس الأمر هنا متعلقا بالخمر والميسر فقط وإنما بكل ما ورد فى الآية التى بعدها ﴿ لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم ﴾ فهى قضايا الإحسان إلى اليتامى، وقضية الإفساد والإصلاح، وكلها قضايا اجتماعية تتعلق باستقرار المجتمع وتماسكه .

أما فيما يتعلق بالتكافل الاجتماعى بين أفراد المجتمع، فقد دعا الإسلام إلى التفكير فيها، بعد ضرب مثل يوضح حقيقة الأمر ونهاية الدنيا وعاقبة البخل فقال تعالى : ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ (٤٨)

وهكذا يحرص الإسلام على تدريب الأفراد على التفكير القائم على التأمل الصحيح لكل موقف من المواقف وكل قضية من القضايا .

ولا شك أن كل ما ورد فى القرآن الكريم إنما هو لكل مجتمع وكل زمان. ولكل الأفراد والجماعات ، وليس قاصرا على المواقف التى نزل فيها . وبالتالى فكل الناس فى المجتمعات على امتداد الأزمنة واختلاف الأماكن مطالبون بكل ماورد فيه .

وعملية تدريب وتعويد الأفراد على التفكير الصحيح تجعل لهم القدرة على المشاركة فى بناء الرأى العام الصحيح إزاء قضايا المجتمع، وتجعلهم يستطيعون أن يسلكوا السلوك السوى فى كل موقف وبالتالى يصبح المجتمع قويا متماسكا .

وإذا كان الإسلام قد حرص على تدريب وتعليم الأفراد التفكير الصحيح فإنه قد حرص أيضا على تعليمهم وتدريبهم على حرية التعبير عن هذا الفكر طالما أنه لا يتعارض مع عقيدة ولا مبدأ سليم، أى طالما كان التفكير صحيحا .

وقد تجلت دعوة الإسلام للناس إلى حرية التعبير عن الفكر الصحيح فى أمر الله عز وجل لهم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وقد مدح الله تعالى هذه الأمة لقيامها بذلك فقال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن

أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ (٤٩) ومدح الله تعالى طائفة من أهل الكتاب لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات فقال تعالى ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾ (٥٠) وأمر الله عز وجل بذلك فقال ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ (٥١)

فبعد أن تعلم الأفراد التفكير الصحيح، وأصبحوا قادرين على تكوين رأى سليم، وفكرة صائبة، فإنهم عليهم أن يأمروا غيرهم بها من غير حجر على أفكارهم، ولا قيد على حرية التعبير لديهم طالما كان هذا في إطار الشرعية لذا أمر الله تعالى في سورة العصر بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، ومدح النبي ﷺ معاذ بن جبل لما قال له أجتهد رأيي ولا آلوا، وهذا إن لم يجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ .

وقد أمر الإسلام الناس بتقويم المعوج من الأمور تاركا لهم الحرية في ذلك حيث يقول رسول الله ﷺ " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الإيمان " (٥٢) فالتقويم باللسان إنما هو أوسط الأمور وذلك واجب على كل من رأى المنكر شريطة أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر القرآن الكريم .

فالحديث عن تغيير المنكر أو تقويم المعوج من الأمور هنا يجب ألا يؤخذ ذريعة لكل مسلك فاسد أو تصرف شاذ، وإنما الدعوة في كل أمورها يجب أن تكون من منطلق أمر الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة . قال تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾(٥٣) .

فالفرد في الإسلام إذا مكفول له حرية التعبير عن رأيه طالما كان رأيا سليما فحرية الإنسان – في الإسلام – حرية حقيقية، برغم ما يقوم حوله من حدود ومقاومات، والإنسان حر حرية مطلقة في منطقة ضميره، فهو يستطيع أن يضمر ما يشاء، وحر حرية نسبية في التنفيذ في منطقة العقل والعمل، بحسب ما يقوم حوله من حدود ومقاومات، وبهذه الحرية التي قبلها الإنسان مختارا حقت عليه المسئولية والمحاسبة . " (٥٤)

وبذلك نرى أن الإسلام قد حرص على تعليم الأفراد وتدريبهم وتعويدهم على التفكير الصحيح ثم عن حرية التعبير عن هذا الفكر الصحيح سواء عن طريق الأمر بالنافع أو النهي

عن الضار أو التغيير والتقويم فيما يتعلق بالمنكرات من الأمور وهذا يجعل الفرد قادرا على المساهمة بالرأى الحر تجاه قضايا المجتمع مما يهيئ الفرصة لوجود رأى عام صائب وصحيح يؤدى إلى تماسك المجتمع واستقراره .

ب - غرس القيم لدى الأفراد :

حتى يكون الفرد فى المجتمع الإسلامى معبرا عن رأيه فى إطار ما يهم المصلحة العامة للمجتمع وليس فى إطار نظرته لنفسه أما مايهمه بصفة شخصية حرص الإسلام على تربية الضمائر لدى الأفراد ، حيث إن الضمير إنما هو الرادع الحقيقى للإنسان، وهو الذى ينبعث من داخل ذاته وينطلق من نفسه يمنعه عن الشر ويدفعه إلى الخير دون أن يشعر أو يحس بذلك أحد من الناس ومهما و ضعت القيود أو القوانين فإنها لا تستطيع أن توجد قيدا أو قانونا يدفع الإنسان إلى السلوك فى إطار المصلحة العامة للمجتمع مثل الضمير، ومن هنا كانت أهمية غرس القيم لدى الأفراد والتى اهتم بها الإسلام، حيث اهتم بتعليم الفرد الصدق ونهاه عن الكذب وحذره منه ودعاه إلى الإخلاص وبين فضله كما دعاه إلى الحياء وعدم إفشاء الأسرار، وترك الأنانية وحب الآخرين وهذا كله مع غيره من القيم التى يغرسها الإسلام لدى الأفراد تؤدى إلى الانتماء للمجتمع والعمل من أجل رفعته واستقرار وعلو شأنه، وسنعرض أمثلة لذلك .

حث الإسلام الناس على الصدق فى كل قول، وأمر بذلك، وبين جزاء من صدق فى قوله وتحرى الصدق، يقول النبى ﷺ إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا " (٥٥) .

وأوضح القرآن الكريم جزاء الصادقين فقال تعالى ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ﴾ (٥٦) وأمر الله تعالى عباده بالصدق . فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (٥٧) .

وبين النبى ﷺ أن الصدق يجب أن يكون فى كل أمور الحياة فى القول والفعل والبيع والشراء، حيث قال ﷺ : " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما ".(٥٨) فالصدق إذا تترتب عليه البركة فى البيع وفى الشراء وهذا ترغيب للناس فى سلوك هذا المسلك القويم.

وعلم الإسلام الناس الإخلاص فى القول والعمل " أيضا حيث أوضح لهم أن العمل إنما مبعثه نيةُ الإنسان. وهذه النية يعلمها الله وحده وهو مطلع عليها. يقول النبى ﷺ فى الحديث " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله رسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه . " (٥٩)

فالعمل فى الإسلام متعلق بنية الفرد من هذا العمل، إن أخلص فيه وقصد وجه الله عز وجل فله الجزاء وإن قصد به بعض المآرب أو الأطماع الشخصية فله ما قصد ولا يجزيه الله شيئا عليه، وإن ظهر أمام المجتمع أنه يريد المصلحة العامة أو الخير للمجتمع، ومرجع ذلك كله إلى نيته والنية يعلمها الله تعالى الذى ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ﴾ (٦٠) .

وحتى يكون الفرد فى المجتمع الإسلامى حريصا على ذلك وضح له القرآن الكريم أن الله عز وجل مطلع على أحوال عباده، سرهم وجهرهم، قال تعالى ﴿ إن الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء ﴾ (٦١) وقال تعالى : ﴿ هو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ (٦٢)

وإذا آمن الإنسان بهذا فإن عليه أن يدرك أن إبداء الرأى فيما يتعلق بقضايا المجتمع إنما هو أمر هام وضرورى ، عليه أن يخلص فيه وأن يصدق فيه وإن لم يفعل فإن الله عز وجل مطلع عليه، وهو الذى يجازيه بذلك قال تعالى ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ (٦٣)

وكذلك علم الإسلام الناس قيم الصبر والحياء وعدم إفشاء الأسرار وغيرها من القيم الفاضلة، وكل ذلك ليكون رأى الفرد نابعا من هذه القيم الجميلة النبيلة، فإذا ما كان الإنسان صادقا مخلصا صابرا فإنه يبدى رأيه فى القضايا العامة بإخلاص وصدق مؤثرا المصلحة العامة على مصلحته الشخصية، حتى لو تعارضت تلك المصلحة العامة مع مصلحته الشخصية .

وبذلك فالإسلام قد علم الفرد طريقة التفكير ثم التعبير عن أفكاره فى حرية تامة دون حجر عليه طالما كانت أفكارا طيبة، ثم علمه القيم التى تجعله يجعل مصلحة المجتمع فوق مصلحته الشخصية، وبهذا فإن الرأى العام القائم على مجموع آراء أفراد تمت تربيتهم بهذة الطريقة يصبح رأيا صائبا يؤدى إلى استقرار المجتمع وسلامته .

٢ - مسئولية القادة إزاء المجتمع

إذا كان الإسلام قد حرص - كما رأينا - على تدريب أفراد المجتمع على تحمل المسئولية تجاه مجتمعهم . فإن المنهج الإسلامى فى تكوين الرأى العام، قد حرص أيضا على إلزام القادة فى المجتمع بمسئوليات إزاء مجتمعهم تجاه الأفراد من ناحية، وتجاة المصلحة العامة

للمجتمع من ناحية أخرى. وبذلك يكتمل هذا المنهج الإسلامى. فى إعداد رأى عام موجز وإيجابى فى المجتمع ذلك أنه يربط الأفراد بالمجتمع من ناحية كما يربط القادة بالمجتمع أيضا ومصالحه ومصالح الأفراد من ناحية أخرى .

والمقصود بالقادة هنا هو كل من كان فى موقع المسئولية ، بمعنى أنه يقود غيره من الأفراد فى موقع من المواقع سواء كان ذلك على المستوى السياسى أو الاجتماعى أو الدينى أو كان فى موقع المسئولية على مستوى مؤسسة من مؤسسات المجتمع أو هيئة من هيئاته مثل مصنع أو إدارة من الإدارات مثلا فهؤلاء هم من نقصدهم هنا بلفظ القادة حيث هم أصحاب القدرة على اتخاذ القرار وأصحاب القدرة على توجيه غيرهم من الأفراد ممن هم تحت قيادتهم .

وقد تجلت الأوامر الإلهية التى جسدت مسئولية الحكام تجاه المجتمع وأفراده، فى أمر الله عز وجل لنبيه ﷺ قال تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون ﴾ (٦٤) وقال تعالى ﴿ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ (٦٥) .

يأمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالقيام بجهد الدعوة لمن لم يؤمن بها . فى ذات الوقت الذى يأمره باللين والرحمة مع أفراد المجتمع الآخرين المؤمنين به وبدعوته، ثم يأمره باستعمال الرحمة مع العصاة أيضا لعلهم يعودون إلى التفكير فى أمر الدعوة، ولعل الله أن يهديهم إلى الإيمان بها، وذلك فى قوله ﴿ فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون ﴾ فلم يأمره بالقسوة على هؤلاء الذين عصوا وإنما فقط أن يتبرأ إلى الله منهم .

وقد مدح الله تعالى ما كان عليه نبيه ﷺ مع أفراد المجتمع، ومع المؤمنين بصفة عامة، فقال تعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) (٦٦) وقال تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾(٦٧) .

فقد مدح الله تعالى نبيه ﷺ لأنه لين الجانب مع أفراد المجتمع كما فى الآية الثانية وأمره بأن يعفو عنهم وإن يستغفر لهم وأن يشاورهم فى الأمر وهكذا يجب أن يكون القائد مع أفراد مجتمعه والرئيس مع مرءوسيه ولو كان كذلك لأتيح للأفراد حرية التعبير عن آرائهم ولأمكنهم مناقشة قضاياهم فى جو من المودة والألفة وبذلك يصبح المجتمع قويا متماسكا مستقرا .

وقد حمل الإسلام القادة فى المجتمع المسئولية الكاملة تجاه مجتمعاتهم حيث يقول النبى ﷺ " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الإمام راع ومسئول عن رعيته. والمرأة راعية فى بيت

زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته " (٦٨) .

وهذا الحديث يوضح أن المسئولية ملقاة على عاتق كل قائد وكل مسئول وكل رئيس تجاه من هم تحت إمرته، ويضع تلك المسئولية أمانة فى عنقه والله تعالى محاسبه عليها . ويقول النبى ﷺ " ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"(٦٩) فالقائد مسئول عن رعيته وهو مطالب بالأمانة تجاهها وتجاه المجتمع كما أنه مطالب بالنصح لها والاجتهاد من أجل مصلحتها العامة حيث يقول النبى ﷺ " ما من أمير يلى أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة " (٧٠) .

وقد أمر النبى ﷺ القادة بالرفق بمجتمعاتهم ودعا على من شق على أفراد المجتمع فقال :"اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به " (٧١) .

وإذا التزم القادة فى أى مجتمع بهذا المنهج الإسلامى القويم تجاه أفراد المجتمع ومصالح وقضايا المجتمع فإنهم يهيئون الفرصة الكاملة وظهور الرأى العام الصائب المستنير الذى يتيح للأفراد المشاركة فيه مع الحكام والقادة ذلك أن القادة إذا التزموا بهذا المنهج الإسلامى فإنهم يستشيرون الأفراد ويعطونهم الحرية الكاملة للتعبير عن آرائهم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الأفراد يكونون قادرين على التفكير وعلى التعبير عن آرائهم فى حرية تامة كما أنهم يكونون حريصين على المصلحة العامة للمجتمع، وبذلك يتكون الرأى العام الصائب المستنير .

٣ - العلاقة الطيبة بين الأفراد وقادة المجتمع :

حرص الإسلام كذلك على أن تكون العلاقة بين الأفراد والقادة فى المجتمع علاقة طيبة، وذلك حتى يتفهم القادة مشكلات الأفراد ومشكلات المجتمع، ويعملون على حلها ويسهرون من أجلها كما أنهم بذلك يصبحون آمنين على حياتهم، مستقرين غير خائفين، وحتى يتفهم الأفراد أيضا أن هؤلاء القادة إنما يعملون من أجلهم وبالتالى فلابد من تهيئة الفرصة لهم لأداء دورهم تجاههم وتجاه مجتمعهم بصورة مرضية وفعالة .

لذلك يأمر الله تعالى الأفراد فى المجتمع بطاعة القادة، قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾(٧٢) فالطاعة المطلقة لله عز وجل أولا، ثم لرسوله ﷺ ثم لأولى الأمر وهم قادة المجتمع وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة " (٧٣) وعن أبى بكرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول " من أهان السلطان أهانه الله " (٧٤) .

وبذلك نجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية تأمر الأفراد فى المجتمع بأن يطيعوا قادتهم وألا يخرجوا عليهم حتى يعطوهم فرصة الإصلاح فى المجتمع فربما رأى الحاكم أو القائد أشياء من موقع مكانه ومسئوليته لا يستطيع الأفراد أن يروها أو يتعرفوا عليها وبالتالى فلابد من طاعتهم طالما لم يأمروا بمعصية الله عز وجل.

وقد أمر الإسلام القادة بالعدل بين الناس قال تعالى ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٧٥) ويقول النبى ﷺ " إن المقسطين على منابر من نور الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماولوا " ويقول أيضا " أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم وعفيف متخفف ذو عيال . " (٧٦)

وإذا كان الحاكم عادلا رحيما بأفراد مجتمعه وإذا كان كل مسئول وكل من هو فى موقع القيادة فى المجتمع كذلك فإن أفراد المجتمع يحبونه. كما أنه يحبهم، وبالتالى يتكاتف الجميع أفرادا وقادة ويتعاونون من أجل رفعة المجتمع. والعمل على مصلحته لذلك يبين النبى ﷺ أن القائد المحبوب فى المجتمع منزلته عند الله عالية وشأنه رفيع يقول ﷺ " خياركم أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشراركم أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم " قالوا : يا رسول الله أفلا ننابذهم ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاه لا ما أقاموا فيكم الصلاة " (٧٧) .

وحتى تسود المحبة بين القادة وأفراد المجتمع وحتى يعملوا من أجل الصالح العام لمجتمعهم أمر النبى ﷺ القادة باتخاذ البطانة الصالحة التى تعينهم على فعل الخير يقول ﷺ " ما بعث الله من بنى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه. والمعصوم من عصم الله. " ويقول ﷺ أيضا " إذا أراد الله بالأمير خيرا ، جعل له وزير صدق، إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره وإن ذكر لم يعنه " (٧٨) .

من هذا يتضح لنا أن الحاكم أو القائد حتى يكون محبوباً فى مجتمعه ولدى سائر أفراده ، لابد أن يكون عادلا مقسطا كما أنه لابد أن يستعين بأهل الصلاح ليكونوا حوله فينصحونه إن حاد عن طريق الخير أو مال إلى أهل السوء أو التبس عليه أمر من الأمور فيشيرون عليه بما يفيده ويفيد مجتمعه ويجعله محبوبا فى المجتمع، وبما يحقق المصلحة العامة للمجتمع فى ذات الوقت. أما إذا مال الحاكم أو القائد إلى بطانة الشر وأهل السوء فإن قراراته تكون مجحفة بأفراد المجتمع ولا تهمه المصلحة العامة لمجتمعه وبذلك يصبح مبغوضا لدى أفراد المجتمع وبين

أهله فيلعنهم الناس ويلعنون الناس كما بين النبى ﷺ .

وإذا تحقق هذا المنهج الذى رسمه الإسلام كانت العلاقات التى تربط الحكام والقادة بأفراد المجتمع علاقات طيبة، وأصبح الفرد فى طاعة الحاكم طوعا من غير أدنى غضاضة فى نفسه كما أن الحاكم يكون راضيا عن أهل مجتمعه ومواطنيه مشغولا بما ينفعهم ، يشاورهم فى الأمور ويشركهم فى اتخاذ القرار وهذا كله يؤدى بالتالى إلى تكوين رأى عام صائب مستنير ويجعل المجتمع قويا متماسكا .

نخلص من ذلك إلى أن الإسلام قد رسم منهجا سليما قويما لتكوين الرأى العام، يقوم على تعليم الأفراد كيفية التفكير السليم ثم كيفية التعبير الحر عن أفكارهم، ثم يجعلهم مسئولين مسئولية كاملة تجاه قضايا المجتمع ومشكلاته فلابد أن يفكروا فيها بإخلاص وأن يعبروا عن آرائهم بصدق ولابد أن يحرصوا على ذلك من منطلق ما تمليه عليهم ضمائرهم التى رباها الإسلام بترسيخ القيم الإسلامية النبيلة الفاضلة لديهم، واستكمل المنهج الإسلامى عملية التكوين الصحيح للرأى العام عن طريق إلزام القادة فى المجتمع بالمسئولية الكاملة تجاه المجتمع وتجاه الأفراد وأيضا بتحسين العلاقة بين الحكام والمحكومين فى المجتمع .

وبذلك فإن القادة من منطلق حرصهم على المصلحة العامة للأفراد وللمجتمع كله، فإنهم يحرصون على مشاورة أهل الرأى ويحرصون على الاستماع لآراء الأفراد الذين لديهم القدرة على التفكير السليم الصحيح فى القضايا والمشكلات العامة، ويحرصون على التعرف على ما يحتاجه الأفراد وما يعانى منه المجتمع، ثم هم يعملون بإخلاص وعدل لتحقيق النفع العام، ويتخذون القرارات اللازمة لتحقيق ذلك .

وهذا المنهج الإسلامى بهذه الصورة إنما هو منهج متكامل لتكوين رأى عام مستنير وواع يشترك فيه الفرد مع قادته، أو الأفراد مع قادتهم يدفعهم إليه الحرص على مصلحة المجتمع وأفراده بإخلاص وصدق وولاء ويحوطهم إطار من العلاقات الطيبة المتبادلة بينهم وبين بعضهم فيجعل ذلك القائد من منطلق حبه لأفراد مجتمعه ومن موقع مسئوليته وبدافع عدالته التى كلف بها يستمع لآراء الأفراد ويجعل الأفراد بدورهم يعبرون فى حرية وصدق وإخلاص عن آرائهم مؤثرين مصلحة المجتمع على مصالحهم الفردية، ومع كل ذلك هم يحبون قادتهم ويحترمونهم ويطيعونهم .

يتحقق من هذا النقاش الحر البناء بين أفراد المجتمع وبعضهم، وبينهم وبين قادتهم فيؤدى هذا إلى ظهور رأى عام صائب مستنير قائم على أسس قويمة وثابتة ، تحقق الاستقرار للمجتمع وتدفعه قدما إلى الأمام .

هوامش الدراسة

- القرآن الكريم.

١ - أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب (القاهرة : دار المعارف، مجهول السنة) ص١٥٤٤ .

٢ - المرجع السابق، ص٣١١٢.

٣ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط. ط٢، حـ١ (القاهرة : مطبعة مصر، مجهول السنة) ص٣٢٠ .

٤ - المرجع السابق، ص٦٢٩.

٥ - مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى، القاموس المحيط، حـ٣ (مجهول البلد والناشر،١٩٥٢)ص٣٣٣.

٦ - Kuppuswamy, B.An lntroduction to social Psychology, Lon don, Asia Publishing Company,1961, P.223.

٧ - عبدالعزيز الغنام، مدخل فى علم الصحافة (القاهرة : مكتبة الأنجلو، ١٩٧٧) ص٢٥٥ .

٨ - المرجع السابق، ص٢٥٦ .

٩ - دانيل كاتز وآخرون، الإعلام والرأى العام، ترجمة محمود كامل المحامى (القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٢) ص٥٠ .

١٠ - حسنين عبدالقادر، الرأى العام والدعاية وحرية الصحافة (القاهرة : مكتبة الأنجلو، ١٩٥٧) ص٦ .

١١ - محمد عبدالقادر حاتم، الرأى العام (القاهرة : مكتبة الأنجلو، ١٩٧٢) ص٤٣.

١٢ - عبدالقادرحمزة، مدخل فى فن التحرير الصحفى (القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٥٨) ص١٩.

١٣ - أحمد محمد أبوزيد، سيكولوجية الرأى العام (القاهرة : عالم الكتب، ١٩٦٨) ص٣٨.

١٤ - محمد عبدالقادر حاتم، مرجع سابق، ص٤٩ .

١٥ - إبراهيم إمام ، العلاقات العامة والمجتمع (القاهرة : مكتبة الأنجلو، ١٩٧٦) ص٢٠٢ .

١٦ - مختار التهامى، الرأى العام والحرب النفسية (القاهرة : دار المعارف،١٩٧٩) ص١٧ .

١٧ - شاهيناز طلعت، الرأى العام (القاهرة : مكتبة الأنجلو، ١٩٨٣) ص١٥٧.

١٨ - محمد بن أبى بكر الرازى، مختار الصحاح (بيروت : دار مكتبة الهلال، ١٩٨١) ص٣٥٠ .

١٩ - عبدالهادى الجوهرى، دراسات فى التنمية الاجتماعية، مدخل إسلامى (القاهرة :مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٤) ص٢١٥ .

٢٠ - سورة الشورى (٣٧ - ٣٨) .

٢١ – أبوالفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، حـ٤ (القاهرة : دار التراث العربى، مجهول التاريخ) ص١١٨ .

٢٢ – سورة آل عمران (١٥٩) .

٢٣ – سورة البقرة (٢٣٣) .

٢٤ – سورة النمل (٢٩ – ٣١) .

٢٥ – سورة النمل (٣٢ – ٣٥).

٢٦ – سورة الشعراء (٢٩ – ٣٣) .

٢٧ – سورة الشعراء (٣٤ – ٣٥) .

٢٨ – سورة الشعراء (٣٦ – ٤٠) .

٢٩ – سورة العصر

٣٠ – ابن كثير، مرجع سابق، حـ١ ص٤٢٠ .

٣١ – أبومحمد عبدالملك بن هشام، سيرة النبى، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد (القاهرة: دار الهداية مجهول السنة) الجزء الثانى ، ص٢٥٣، ٢٥٤ .

٣٢ – محمد سعيد رمضان البوطى، فقه السيرة، ط٧ (مجهول البلد والناشر، ١٩٧٨) ص١٧١ .

٣٣ – ابن هشام، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص٧، ٨ .

٣٤ – محمد سعيد رمضان البوطى، مرجع سابق، ص٢٢٥ .

٣٥ – المرجع السابق، ص٣٠٠، ٣٠١ .

٣٦ – محمد يوسف الكاند هلوى، حياة الصحابة، الطبعة الثانية، الجزء الثانى (القاهرة : دار التراث العربى، ١٩٨٢) ص٣٨ .

٣٧ – محمد الخضر حسين، الحرية فى الإسلام (القاهرة :دار الاعتصام، ١٩٨٢) ص٢٢ .

٣٨ – سورة الحشر (٢١) .

٣٩ – سورة سبأ (٤٦) .

٤٠ – سورة الأنعام (٥٠) .

٤١ – سورة الروم (٨) .

٤٢ – سورة غافر (٢١) .

٤٣ – سورة آل عمران (١٩١) .

٤٤ – سورة الأعراف (١٧٦) .

٤٥ – سورة يونس (٣٤) .

٤٦ – سورة النحل (٤٤) .

٤٧ – سورة البقرة (٢١٩) .

٤٨ – سورة البقرة (٢٦٦) .

٤٩ – سورة آل عمران (١١٠) .

٥٠ – سورة آل عمران (١١٣ – ١١٥) .

٥١ – سورة آل عمران (١٠٤ – ١٠٥) .

٥٢ – صحيح مسلم، الجزء الأول (القاهرة : مطبعة عيسى البابى الحلبى ، مجهول السنة) ص٣٩

٥٣ – سورة النحل (١٢٥) .

٥٤ – مصطفى محمود، القرآن : محاولة لفهم عصرى، الطبعة الرابعة (القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٤) ص٣٠ .

٥٥ – أبو زكريا يحيى بن شرف النووى، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين (دمشق، بيروت :مكتبة الغزالى، ١٩٥٥) ص٤٤ .

٥٦ – سورة آل عمران (١٥ – ١٧) .

٥٧ – سورة التوبة (١١٩) .

٥٨ – أبوزكريا يحيى بن شرف النووى، مرجع سابق، ص٤٦ .

٥٩ – المرجع السابق، ص١٢ .

٦٠ – سورة غافر (١٩) .

٦١ – سورة آل عمران (٥) .

٦٢ – سورة الحديد (٤) .

٦٣ – سورة الفجر (١٤) .

٦٤ – سورة الشعراء (٢١٤ – ٢١٦) .

٦٥ – سورة الحجر (٨٨) .

٦٦ – سورة التوبة (١٣٨) .

٦٧ – سورة آل عمران (١٥٩) .

٦٨ – أبوزكريا يحيى بن شرف النووى، مرجع سابق، ص ٢٩٠ .

٦٩ – صحيح مسلم، الجزء الأول، مرجع سابق ص٧١ .

٧٠ – المرجع السابق، ص٧١ .

٧١ – أبوزكريا يحيى بن شرف النووى، مرجع سابق، ص٢٩١ .

٧٢ – سورة النساء (٥٩) .

٧٣ – أبوزكريا يحيى بن شرف النووى مرجع سابق ص٢٩٥ .

٧٤ – المرجع السابق، ص٢٩٧ .

٧٥ – سورة النحل (٩٠) .

٧٦ – النووى، مرجع سابق ، ص٢٩٣، ٢٩٤ .

٧٧ – المرجع السابق، ص٢٩٣ .

٧٨ – المرجع السابق، ص٢٩٩، ٣٠٠ .